



خطبة صلاة الجمعة 26 / 11 / 2021 للشيخ الطيب محمد خير الشعال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكى

(حسن التدبير في المعاش عند النبي ﷺ، وكيف نتحلى به)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفية وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب 21].

وقال سبحانه مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].
أخرج الإمام الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مِنْ أَحْسَنِكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا».

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» وفي رواية البزار: «مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ».

مع مطلع شهر ربيع الأول شهر ولادة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بدأنا سلسلة جديدة من الخطب تناسب الزمان والاحتياج عنوانها: (أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف نتحلى بها). وهذه الخطبة الثامنة وعنوانها:

حسن التدبير في المعاش عند النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف نتحلى به.

أيها الإخوة:

سبق أنّ الخلق هو اسم لصورة الإنسان الباطنة، كما أنّ الخَلْقَ اسم لصورته الظاهرة. (لسان العرب).

والأخلاق تكون فطرية وتكون مكتسبة، فمن فطره الله على خلق حسن فليحمد الله ومن لم يجده في نفسه فليتدرب على اكتسابه، وهذا الواجب العملي الأهم على مستمع هذه السلسلة.

أيها الإخوة:

حسن التدبير في المعاش سمة أهل الفضل وصفة أهل العقل، والسمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أخلاق الأنبياء.

فنقرأ في شعب الإيمان للبيهقي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة**»، ونقرأ فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما عال من اقتصد**» ومعنى عال: افتقر، والمراد أنّ أهل حسن التدبير لا يفتقرون، وأخرج النسائي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «**اللهم أسالك القصد في الفقر والغنى**».

ودراسة الاقتصاد الأسري اليوم وأساليب التوفير والتدوير وإعادة الاستخدام والمحافظة على الموارد باتت تخصصات عالية في جامعات عالمية.

وإذا كان حديث اليوم عن حسن التدبير في المعاش عند النبي صلى الله عليه وسلم وكيف نتحلى به، فإليك هذه المواقف من السنة المطهرة.

1- روى البيهقي في الشعب عن عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَى كِسْرَةً مُلْقَاةً فَمَسَحَهَا، فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، أَحْسِنِي جِوَارَ نِعَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهَا مَا نَفَرَتْ عَنْ أَهْلِ بَيْتٍ فَكَادَتْ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِمْ**».

إنّ المحافظة على النعمة نوع من أنواع حسن التدبير في المعاش عند النبي صلى الله عليه وسلم.

ونجد مثل هذا المعنى في الحديث الذي رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا الْبَابَ، وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً**».

فتغطية الإناء لئلا يدخل على الطعام ما يفسده، وشدّ الحبل على فم القربة لئلا يسقط في الشراب ما يلوثه، وإغلاق الباب لئلا يدخل إلى البيت ما يخرّبه، وإطفاء السراج عند عدم الحاجة إليه لئلا تكون

ممن يضيّع المالَ وتبدّده، كل ذلك محافظةً على النعم، وهو نوع من أنواع حسن التدبير في المعاش عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2- أخرج ابن ماجه في سننه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ: «مَا هَذَا السَّرْفُ يَا سَعْدُ؟!»، قَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ سَرْفٌ؟! قَالَ: «نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتُ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ».

وأخرج الإمام مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما في وصف وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان مما قال: (فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْقُرْبَةِ، فَسَكَبَ مِنْهَا فَتَوَضَّأَ وَلَمْ يُكْثِرْ مِنَ الْمَاءِ، وَلَمْ يَقْصِرْ فِي الْوُضُوءِ).

إنّ ترشيد استهلاك الموارد، والماء من أهمها، نوع من أنواع حسن التدبير في المعاش عند النبي صلى الله عليه وسلم.

3- أخرج الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ؛ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ، فَجَعَلَ يُصَرِّفُهَا بَيْنَنَا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ» قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر؛ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي الْفَضْلِ).

إن دفعَ الفائض لمن يحتاجه نوع من أنواع حسن التدبير في المعاش على مستوى المجتمع. فحسن التدبير في المعاش خُلِقَ للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو معروف به، والمتوقع أن يكون حسن التدبير وصفك، وأن تكون معروفاً به.

ألبست بعض السيدات ثوبَ زفافها لابنتها يوم عرسها! واستطاعت الأم بحركة فنية ذكية على الثوب أن تفيد منه لتجعله مناسباً لابنتها، فضلاً عن حفاظها على الثوب عشرين سنة أو يزيد، لتوفر اليوم مئات الألوف ثمن ثوب عروسٍ جديد.

إن حسن التدبير نصف المعيشة، وما عال من اقتصد.

ذكر موقع النخيل على الشابكة تقريراً عن سياسات توفير في نفقات شركات الطيران العالمية، فقال:

قررت شركة «أميريكان إيرلانز» تقليل عدد حبات الزيتون في أطباق المسافرين على متن رحلاتها بواقع حبة في كل طبق، فاقترضت الشركة مبلغاً كبيراً من المال.

ووفرت شركة «نورث ويست» مليوني دولار سنوياً بعدما ألغت تقديم كيس المقرمشات الصغير لمسافريها.

إنّ التقليل أو الإلغاء آليتان من آليات التوفير، وإن حسن التدبير في المعاش نصف المعيشة، وما عال من اقتصد.

تصنع أمّ ذكية من طعامٍ أكل منه أهل البيت حتى ملّوه صنفاً آخر يقبلونه ويقبلون عليه، وتصلح ثياب الأولاد الكبار وتحوّّلها للصغار على نحو مقبول، وهو ما يسمى اليوم إعادة التدوير. إنّ حسن التدبير نصف المعيشة، وما عال من اقتصد.

أشهرت الجمعية السورية لمكافحة السل والأمراض التنفسية عام 1953، وكانت قد استصدرت طابعاً لتحقيق أهدافها قيمته نصف قرش ثم صار قرشاً ثم عشرة ثم نصف ليرة سورية ثم ليرة ثم ليرات معدودات، واستطاعت من خلال تجميع هذه المبالغ البسيطة بناء أكثر من ستة مشافي في سورية منها مشفى الكندي الجامعي بحلب ومشفى ابن الوليد بحمص ومشفى حريستا بريف دمشق ومشفى ابن النفيس ومشفى العيون الجراحي بدمشق وآخرها مشفى الغوطة في كفرنطنا.

إنّ الادخار - ولو شيئاً قليلاً - نوع من أنواع حسن التدبير، وإن حسن التدبير في المعاش نصف المعيشة، وما عال من اقتصد

أيها الإخوة:

أهم ما في هذه الخطب الواجب العملي منها، وهو أن يكتسب المرء حسن التدبير في المعاش، خاصة مع هذا التضخم والغلاء مضافاً لأزمة اقتصادية عالمية ومحلية

فكيف تكتسب حسن التدبير في المعاش؟

الجواب: من الأمور المعينة على اكتساب حسن التدبير في المعاش خمسة:

أولاً: صاحب أهل حسن التدبير من أهل التوسط والقصد والاعتدال، واجتنب صحبة المفسرين والمبذرين.

إذ صاحب يعدي ويسرق الطبع من الطبع وتكتسب العادات والأخلاق بالتقليد والمحاكاة.

ثانياً: تحكم في نفقاتك، وابدأ بالضروري ثم الحاجي، والصواب حذف الكماليات عند الأزمات.

ثالثاً: اجتهد أن تتعدد مصادر دخلك.

رابعاً: تحرّ الحلال واحذر الحرام.

خامساً: الصواب أن يشترك جميع أفراد الأسرة في حسن التدبير لتسلم الأسرة، وجميع أفراد المجتمع ليسلم المجتمع.

أما أن يحسن التدبير الزوج وتسيء الزوجة أو العكس، أو أن يحسن التدبير الوالدين وتسيء الأولاد أو العكس؛ أو أن يحسن التدبير بعض أفراد المجتمع وتسيء آخرون، فلن ينجح بهذا اقتصاد أسرة ولا اقتصاد مجتمع.

أيها الإخوة:

في شهر ربيع أكثرنا من الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه من صلى عليه صلى عليه ومن سلم عليه سلم عليه، وتدارسوا مع من حولكم حديثه صلى الله عليه وسلم وأخلاقه، وسنته وسيرته، ليكون النبي حاضراً فينا وتكون سنته ماثلة بيننا. -

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

والحمد لله رب العالمين